

## مقاربة حول اشكالية الاستعمار وقابلية الاستعمار

### بين التحليل التاريخي وفكر مالك بن نبي

الاستاذة: صباح عبيد

تحت اشراف

أ/د: علي أجقو

جامعة محمد خيضر بسكرة

sababhila.abid12@gmail.com

تاريخ الارسال : 15-04-2018 / تاريخ القبول: 19-07-2018 / تاريخ النشر 15-09-2018

#### **Abstract:**

It is commonly known that a set of treaties and deals were signed by in international meetings and conventions in the history of humanity. The latter aimed at destroying the colonised country's political entity, and in the mean time, obliging these countries to be ruled under the authority of the coloniser. Not only that but this practice also sought to destruct culture and identity. On this historical fact, it is worth mentioning that in the Islamic nation and world Malek Ben Nabi is thought to be an emblematic and eminent thinker and intellectual who understood this phenomenon and provided us with an objective analysis and interpretation of the tenets of colonisation. In fact, his deep ideas transgressed the mere historical reasoning to concern new ideas that explained how a country like Algeria, which was colonised by France, prepared itself to being colonised or as he termed it the " Colonisabilité". His interpretation was unique and different from the other historical approaches. In the sphere of this problematic, our work is meant to account for Benabi's view on colonisation with a specific historical, interpretive methodology. Our study will also attempt to join other views of historians and political analysts..

**Key words:** 'Melek ben Nabi ' Capability of colonialism' Colonisation Colony.

#### **الملخص:**

تعتبر ظاهرة الاستعمار من بين الحركات التي عقدت عليها المؤتمرات الدولية وأبرمت فيها الاتفاقيات، التي استهدفت القضاء على الكينونة السياسية لدولة ما وإخضاعها لهيمنة الدولة المستعمرة للقضاء على الثقافة المحلية للدولة والأمة. فقد فتح سجل الدراسات التاريخية والتحليلية من المنظور السياسي حول أهداف السياسات الاستعمارية تجاه الدولة المستعمرة، والهادفة لصفة طمس الشخصية الوطنية للدولة والأمة من الناحية الاجتماعية والثقافية. يعتبر مالك بن نبي أحد رواد النهضة الفكرية الإسلامية في القرن العشرين و من بين المنظرين للأحداث الكائنة. فقد تجاوزت أفكاره التفسير التاريخي لأبعاد المشكلة التاريخية، وكون بن نبي شهد فترة من الاستعمار الفرنسي في الجزائر، وباعتباره شاهد عيان كانت أفكاره تعتبر تأريخاً لحادثة تاريخية مستدلا في ذلك إلى خبراته وتكوينه العلمي، هذا مع وضع صورة واضحة للتغيير السياسي والثقافي الذي يطرأ على الدولة المستعمرة وعندها يطرح فكرة مدى قدرة الدول المستعمرة على التصدي للاستعمار أو قابليتها للاستعمار فهذه الدراسة ستفتح مجال البحث في تحليل فكر مالك بن نبي وتحليلها وفق المنظور التاريخي منهجي وحسب تفسير الكتاب والمحللين.

الكلمات المفتاحية: استعمار ؛ قابلية استعمار ؛ مالك بن نبي ؛ دول ؛ مستعمرة ؛ توسع  
مقدمة:

تعتبر الحركة الاستعمارية ظاهرة جيوسياسية عنى الباحثون واعتكفوا على دراستها وتحليلها،  
لاسيما خلال القرن التاسع عشر بتجدد الحركة الاستعمارية في العصر الحديث وتكالب الدول الأوربية  
على المنطقة العربية التي أضحت ساحة خصبة و محلا لأطماعها . نظرا للتأثيرات التي تخلفها الحركة  
الاستعمارية سواء في أوروبا أو خارجها وهذا استدعى نوعا من البحث والتنظير في الخبايا الحقيقية  
للظاهرة. وهذا ما حمل على عاتق الباحثين من مؤرخين وفلاسفة وحتى الأدباء . كل تناول الوضع  
الاستعماري للدول المستعمرة بإيديولوجية مختلفة . ليتم التنقيب عن تأثير الفعل الاستعماري في الدول  
المستعمرة وعن ردود فعل هذه الأخيرة على الاستعمار .

وهذا الطرح الذي تناوله المفكر الجزائري مالك بن نبي ، الذي شهد فترة من نوع استعماري  
وتولدت لديه الدافعية نحو طرح أفكار غدت عقول الباحثين تارة ، وأثارت نقد المحللين من جهة أخرى.  
فبن نبي من بين رواد الفكر في القرن العشرين بالجزائر عنى بدراسة الظواهر الميتافيزيقية للمجتمع الجزائري  
و طرحها وفق منهج تحليلي وتعد فكرة الاستعمار وقابلية الاستعمار من بين المواضيع التي شغلت فكره  
في صيغة علمية . فمن هنا يمكن طرح التساؤل التالي :

كيف تناول مالك بن نبي الحركة الاستعمارية وأبعادها؟ وهل تناسب مع طرح المحللين والمؤرخين ؟  
ما مدلول مصطلح قابلية الاستعمار عند مالك بن نبي؟ و مدى توافقه مع الواقع الاجتماعي ؟ ففي  
هذه الدراسة سأحاول إبراز فكرة الاستعمار وقابلية الاستعمار من جانب تاريخي تحليلي لدى كل من  
مالك بن نبي وباقي الباحثين

## 1- بؤادر الحركة الاستعمارية :

يتميز التاريخ الحديث بالتوسع الأوربي الذي فرضته ظروف أفرزتها النهضة الأوربية<sup>1</sup> . والثورة الصناعية<sup>2</sup>  
القومييات<sup>3</sup> الناشئة التي تطلعت إلى التوسع رمزا للتفوق من ناحية وبمحا عن أسواق لتصريف منتجاتها من  
ناحية ثانية. مع توظيف اليد العاملة والقضاء على البطالة والمزيد من المواد الخام من جهة أخرى<sup>4</sup> يعود  
تاريخ التوسع الأوربي الى عهد الكشوفات الجغرافية<sup>5</sup> التي تلاها تأسيس الامبراطوريات خلال القرون ( 16-17-18-19 م) ، وكان أول رد فعل على الاستعمار من الولايات المتحدة الأمريكية التي  
تحررت من الاستعمار الإنجليزي بعد حرب دامت 8 سنوات (1776-1783) ، و بانتشار عدوى  
الثورة بعد ذلك في مختلف أقطار أمريكا اللاتينية ضد الاستعمار الأوربي. من هنا يمكن القول أن أوروبا

تبحث عن واقع جديد عن جذورها المزعومة وتبريراتها الإيديولوجية في العالم المتوسطي القديم الذي نُهلت منه ونفذت من عصر النهضة الذي اكتشف من جديد اليونان وروما الى خطاب أوروبا المعاصر.<sup>6</sup>

يصف فرانسيس فوكوياما<sup>7</sup> الحركة الاستعمارية قائلا: "جسدت أوروبا موجة استعمار حيث حددت مسار تصادمي مع بقية أرجاء العالم بدأت الموجة الاولى من الفتوحات الإسبانية والبرتغالية للعالم الجديد ليتبعها بعد قرن الاستيطان البريطاني والفرنسي في أمريكا الشمالية وبذلك تبدأ مرحلة جديدة ستبتلع فيها الإمبراطوريات الاستعمارية للقوى الغربية باقي مناطق العالم كلها فعليا بحلول نهاية القرن.<sup>8</sup>

كما يضيف الدكتور عبد الحميد زوزو قائلا: "ماكان للاستعمار أن يفرض إرادته لولا الأوضاع المتردية التي كانت تعاني منها البلدان المستعمرة والتي زادها وجوده إمعانا في الترددي شمل جميع النواحي الثقافية والاجتماعية منها والاقتصادية فانعدام الثقة وقلة التعليم".<sup>9</sup>

يشير جيمس بيسكاتوري أن الفكر الغربي التوسعي الأوربي خاضع لما ورثه من عهود الحروب الصليبية كذلك فإن التفكير الغربي قد قاد الغربيين إلى النظر إلى الاسلام في إطار الصراع بين الحضارتين الإسلامية والغربية وليس في إطار تعاون محتمل يرتكز إلى قيم مشتركة بينهما.<sup>10</sup>

## 2- الاستعمار بين اختلاف المفاهيم :

أ-تعريفه :لغة : اشتقت من العمران<sup>11</sup> ، ومن ذلك قول ابن منظور وأعرمه المكان ، واستعمره فيه جعله يعمره وفي القرآن الكريم قال تعالى " هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها"<sup>12</sup> أي أذن لكم في عمارتها.

ب-اصطلاحا : هناك عدة تعاريف للاستعمار أهمها قيام دولة بفرض حكمها وسيطرتها السياسية أو الاقتصادية خارج حدودها على شعب دولة أجنبية وعلى غير رضا أهلها وتستهدف السيطرة الاقتصادية و استقلال الدولة وسكانها<sup>13</sup> . يقصد به أيضا : سحب دولة ما من الأقاليم التي استعمرتها ونزع الاستعمار يمكن أن يكون فجائيا او تدريجيا عنفويا أو سلميا وهو يكرس حق الشعوب في تقرير مصيرها عن طريق تحقيق الاستقلال الذاتي ويؤدي بالشعوب المستعمرة إلى استقلالها وسيادتها الوطنية.<sup>14</sup>

فالاستعمار هي مجموعة الاعمال التي من شأنها السيطرة أو بسط النفوذ بواسطة دولة ما او جماعة منظمة من الناس على مساحة من الارض وسواء كان الاستعمار غرضه احتلال اقطار جديدة خالية او شبه خالية من السكان فالغرض الحقيقي منع توسيع رقعة الدولة بالاستيلاء على اقطار عامرة بالسكان فإننا نجد أمثلة لهذين النوعين في العهود البشرية القديمة.<sup>15</sup>

يشير الدكتور الطاهر عمري: "إن النظام الاستعماري في الواقع لا يمكن ان يوجد ويستمر إلا خلال نظام من نفي الآخر ذلك أن الاستعمار كما يؤكد الباحثون ارتبط منذ نشأته بالاستغلال أو ثقل ارتباط بل إنه هدف أساسي من بين أهدافه".<sup>16</sup> ويمكن القول أيضا هو سياسة توسع سياسي واقتصادي مارستها دول ما انطلقا من القرن العشرين تجاه شعوب الاقل تطورا والمكرهه على قبول روابط تبعية وثيقة تقريبا وقد ظهر الاستعمار في مطلع العصر الصناعي كحاجة لتزويد البلدان الصناعية بالمواد الأولية ولتصرف منتجاتها في البلدان الاجنبية وهي تحتاج لنوع<sup>17</sup> من التخطيط العسكري<sup>18</sup>.

### ج- أنواع الاستعمار :

الاستيطاني : هو أن تقوم دولة باحتلال دولة أخرى عسكريا وتعمل على السيطرة على سكانها وتهجيرهم ومن ثم توطن أفراد منها ، والاستيلاء على اراضيها من قبل المستوطنين بقوة دولتهم الاستعمارية.<sup>19</sup>  
العسكري : هو قيام دولة بفرض حكمها أو سيطرتها السياسية أو الاقتصادية خارج حدودها على شعب دولة أجنبية وعلى غير رضا أهلها وتكون الوسيلة القوة العسكرية.<sup>20</sup>  
الفكري والسياسي والاقتصادي : هو قيام دولة قوية بإحكام السيطرة على دولة ضعيفة تكون ظاهريا مستقلة وتتمتع بسيادة ، لكن تابعة اقتصاديا وحتى سياسيا وتكون القرارات المصيرية بيد الدولة القوية وتستغلها من خلال عقد اتفاقيات لصالحها.<sup>21</sup>

### 3- بن نبي والغارة الاستعمارية على العالم الإسلامي :

بدأت طلائع الاستعمار الأوربي على القارة الإفريقية منذ الحركة الاستعمارية القديمة التي عرفت باسم حركة الكشوفات الجغرافية خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلادي والتي تزعمها مغامرون إسبان , وبرتغاليون وإيطاليون .<sup>22</sup>  
بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر حلقة من حلقات الحروب الصليبية الدينية وحرب اباداة ضد الجنس العربي المسلم استعمل فيها الاحتلال مختلف الطرق والوسائل غير المشروعة وقد تضافرت مجموعة من العوامل شجعت فرنسا على احتلال الجزائر وبعدها تمكن الجيش الفرنسي من احتلال المدينة بات الادارة الفرنسية مخططاتها لترسيخ دعائم الوجود الفرنسي وتمكينه ولم يتأتى لها ذلك الا من خلال السيطرة المنظمة والواسعة عسكريا ومدنيا لتأسيس قاعدة اقليمية وادارية تم تشجيع المحجرة الاستيطانية قصد بناء القاعدة الديموغرافية لتدعيم القوة العسكرية فتسهل بذلك تدمير البنى الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للمجتمع الجزائري.<sup>23</sup> أخذت الحركة الوطنية اخذت تسيير وتتطور رغم استخدام الشدة والعنف ضدها وأخذت الجمعيات والهيئات السياسية في الظهور واتجاهاتها خصوصا في الثلاثينات وهي الفترة التي يمكن فيها

تحديد اتجاهات هذه التيارات السياسية، وموازنتها الواحدة بالأخرى فيمكننا أن نجد أقصى اليمين رجال الطرق الصوفية الذين تعاونوا مع الاستعمار وكانوا بذلك يمثلون خطرا على البلاد وعلى الحركة القومية الجزائرية ويزيد قيمة الخطر الفرنسي نفسه خصوصا وان الاهالي كانوا يثقون بهم ولا يعتقدون في السلطات الاستعمارية.<sup>24</sup>

اعتبرت التجربة الاستعمارية المغرب العربي حدا خارجيا أوربيا، كما أنها ولدت حركات مقاومة وعصيان وثورة، جمعت عدة ملامح متميزة (الوطنية، الجمهورية التيار الإسلامي، التيار العروبي) أدى كل منها دور في تركيب صورة لما يكون مغربا مستقلا، ونظرا إلى أن المغرب العربي كان مقسما إلى أراضي مستعمرة ومنفصلة كان متوقعا أن تتكيف المعارضة للحكم الأوربي مع الخطوط الكافية للواقع الاستعماري.<sup>25</sup>

#### 4-مالك بن نبي في طرح إشكالية الاستعمار:

##### أ-تفسير مالك بن نبي للاستعمار:

يرى بن نبي<sup>26</sup>: أن الاستعمار هو الذي أدى لضعف المسلمين، إنه عامل خارجي حيث يدرسنا دراسة واعية لكي يبقينا في الهزيمة، حيث " درس أوضاعنا النفسية دراسة عميقة وأدرك منها موطن الضعف، فسخرنا لما يريد، فالاستعمار يراقب حركة الأفكار، فكل ما يمر في العالم الإسلامي من أفكار يهيمه بصفة خاصة وفي الانحراف بها عن مراميها وبن نبي يتفرد في بيان ما هو أخطر وأشد في عملية إضعاف المسلمين، ألا وهي القابلية للاستعمار، لأنها عامل داخلي في نفوسنا، حيث نتقبل كل ما يطلقه المستعمر علينا بدون وعي وإدراك منا، فما يطلقه من مصطلحات ضدنا نتقبلها ونرددها على أساس أنها من المسلمات الصحيحة، وما يصفه لنا نعتبره صحيحاً وجيداً، حيث نقيس أنفسنا بمقياسه، وذلك نتيجة الضعف في شخصيتنا الفكرية والنفسية، فنحن نخدمه باستغلاله لما في أنفسنا<sup>27</sup>. ويضيف ظاهرة الاستعمار يفرض على الفرد عاملا سلبيا يسمى رياضيا بالمعامل الاستعماري COEFLICIENT ولذلك المعامل تاريخه في سياسة الاستعمار فقد كان القائد الفرنسي بيجو وهو في عهد الاحتلال أول فرنسي أدرك حقيقة الشعب الجزائري وما ينطوي عليه من عبقرية فذة ادراكا وضع بمقتضاه الطريقة المناسبة لاستقرار الاستعمار وقد وضعها اساس لتخطيط سياسته الفرنسية التي كانت في نظره تحتاج الى معمرين يتكافئون مع قيمة الأهالي الطبيعية<sup>28</sup>.

##### ب-الظاهرة الإستعمارية:

يذكر بن نبي أن الوضع الاستعماري في البلد كعملية حجر على موارده كلها لحساب المستعمر وحده عملية الحجر في صورة شركة مساهمة يحمل اسهمها الاوربيون فقط ويديرونها لمصلحتهم فقط، فكان لهذا

الانفراد الأوروبي بالمصلحة الجزائرية أن يؤدي بطبيعة الحال إلى وضع يحمل نزعة ضد أهالي البلد.<sup>29</sup> تكوين ونشوء الظاهرة الاستعمارية مست الحلقات الأكثر ضعفا داخل النظام العالمي.<sup>30</sup> فليس من باب الصدفة أن نجد القول بأن كل مشروع مجتمعي مرتبط بمنظومة من الأفكار والقيم يؤسس وجوده ومراحل إنجازها. فالفكر الذي واكب الرأسمالية و منطلقاتها حول هذا النظام إلى حركة استعمارية أولا وامبريالية لاحقا فمثلا الدخول الأوروبي إلى إفريقيا اكتسى طابع المغامرة بعد اتفاقيتي فيينا 1814 ، 1815 ، واكس لاشايل 1819 ، حين دعت أطراف الحلف المقدس إلى محاربة القرصنة والذي تحول فيما بعد إلى احتلال منظم تحكمه رؤية واعية وفق عملية تعضيد النظام الاقتصادي وبعد المؤتمرات الخاصة جاء مؤتمر برلين<sup>31</sup> سبتمبر 1884 الذي جمع القوى الأوروبية الأساسية بغرض الاتفاق على تقسيم إفريقيا<sup>32</sup>. إن الذي يميز الظاهرة الاستعمارية كما كانت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر عن مختلف حركات التوسع المشابه لها على أنها محصلة تطور النظام الرأسمالي المعزز بثرواته الصناعية وهدفها الأول احتلال الأرض و الإنسان من خلال بث ثقافتهم فيه وطمس هويته و مقوماته الوطنية<sup>33</sup>. فالاستعمار ظاهرة تاريخية ظاهرها تخطيط وأساسها فكر تسلطي يطال الشعوب الضعيفة حيث يقول مالك بن نبي " بدلا من ان يدفعها شعورها بالنقص إلى الرفع من قيمة شعبها فإنها رغبة منها في اقرار التوازن بين المعمرين والمستعمرين قد عمدت إلى الانتقاص من قيمة هؤلاء الآخرين وتخطيم قواهم الكامنة فيهم فمذ ذلك الحين بدأ الخط من قيمة الأهالي<sup>34</sup> ينفذ بطريقة فنية"<sup>35</sup>.

يدعو نجوجيو اثيونغو الطبقات أن تكافح الاستعمار حتى في مرحلة وشكل النيو-كولونيالية إن تواجه هذا التهديد بثقافة النضال الحازم على هذه الطبقات وأن تستخدم الاسلحة النضالية المتضمنة في ثقافتها عليها أن تتكلم بلغة النضال الموحدة عليها ان تكشف ألسنتها بنطق الشعب الموحد لن يهزم<sup>36</sup> ، لقد احتلت الظاهرة حيزا هاما في أفكار بن نبي وكتب عنها الكثير وشرح مسياتها وان الشعوب التي استعمرت كانت نتيجة لنقص في وعيها النفسي والذي انعكس عليها في مضمونها الفكري وقابليتها للاستعمار وقد كانت هذه الظاهرة الاستعمارية من بين الموضوعات التي خصص لها المفكر بن نبي حيزا مهما في إسهامات الفكرية.<sup>37</sup>

### ج- القابلية للاستعمار:

بدأ اهتمام مالك بن نبي بالاستعمار، من حيث أنه يفرض على حياة الفرد "عاملا سلبيا"، فإنه يسمي هذا العامل تسمية رياضية هي -المعامل الاستعماري- ويقصد به وجود الاستعمار خارج النفس البشرية أي يظهر كواقع للعيان يعمل على تحطيم الفرد المستعمر بوسائل ظاهرة بوضع العراقيل والعمل وفق آليات

استعمارية لهدم جوهر الفرد وإرادته ومحو عبقريته بالانتقاص من قيمته وتخطيم قواه الكامنة فيه، ويورد الأستاذ أمثلة عن حقيقة. فالمعامل الاستعماري "الذي يعمل في حياة الفرد ضد مصيره وضد ضميره" ولعله رصد لهذا الغرض كتاب بأكمله سطره تحت عنوان "الصراع الفكري في البلاد المستعمرة".<sup>38</sup> إن المستعمِر يعمل جاداً على تحريف معادلة الفرد وذلك باستخدام أنواع من العراقيل يخطط لها تخطيطاً دقيقاً ومسطر لها أن تعترض نشاط الفرد المستعمَر طوال حياته، وتكون مُقولة ومُهيأة. فهذا العامل يؤثر على الفرد من الخارج يفرض على الإنسان المغلوب على أمره الذي يسميه المستعمِر في لغته (الأهلي).<sup>39</sup> وبغض النظر عن طبيعة الاستعمار يبقى المعامل الاستعماري كوسيلة تنتهجها السلطة الاستعمارية اتجاه المجتمع المستعمَر أو الفرد المستعمَر كعينة يحط من القيمة الفعلية للإنسان سواء أكان فرداً أو للمجتمع ككل.<sup>40</sup> إن كان المعامل الاستعماري يؤثر في الفرد وينقص من قيمته الإنسانية والاجتماعية فإنه بالمقابل ثمة معامل آخر يؤثر في الفرد أيضاً وهو داخلي، وليس مفروضاً من الخارج شأن المعامل الأول يجعل الفرد يقبل الوضع الاستعماري ويسير في الحدود التي رسمها له الاستعمار ليكون هذا المعامل مفهوماً جديداً ابتكره مالك بن نبي سماه القابلية للاستعمار، الذي استخدمه أول مرة في كتابه "شروط النهضة" ويقصد من وراء المصطلح "حالة التخلف الذهني والسُّبات اللذين رضخت تحتهما الشعوب قروناً عدة، قبل أن تستفيق على المأساة الاستعمارية".<sup>41</sup>

إن القابلية للاستعمار (La colonisabilité) تعبير عن الرضوخ الداخلي لهذه الواقعة ومعنى أشمل هي مجموعة الصفات العقلية والنفسية وما يناسبها من علاقات اجتماعية تجعل المجتمع لا يستطيع مقاومة الاستعمار، وبالتالي تسهيل مهمة الاستعمار، ويقصد مالك بن نبي الهزيمة النفسية التي يصاب بها الفرد المغزى ليصبح قابلاً للاستعمار وتبعاته، مدافعاً عنه، وهو معامل داخلي نفسي، "يجعل الفرد يستبطن مفاهيم المستعمَر عنه، ويقبل بالحدود التي رسمها المستعمِر لشخصيته، ويقبل بالمصطلحات التي تقلل من شأنه، ويأخذ في ترديدها حتى تصبح لها أثراً نفسياً على ذاتية المستعمَر، وليس ذلك فحسب بل يدافع عنها، ويكافح ضد إزالتها"، ويضرب مثالا أن هناك بلدان لم يدخلها استعماراً لكن بها القابلية له كـبعض بلدان إفريقيا واليمن.<sup>42</sup>

إذن هذا المعامل ينبعث من باطن الفرد الذي يقبل على نفسه تلك الصيغة، والسير في تلك الحدود الضيقة التي رسمها الاستعمار، وحدد له فيها حركاته وأفكاره، وحياته، فنرى هذا الرجل يقبل اسم "الأهلي" الذي أطلقه عليه الاستعمار يوم استأهل، بكل ما ترمي إليه المقاصد الاستعمارية من تقليل قيمته، من كل ناحية حتى من ناحية اسمه بحيث نأخذ أنفسنا بالمقياس الذي تقيسنا به الإدارة

الاستعماري حيث قال بن نبي " أن الجزائري الذي ولد ضمن هذه الشروط لم يكن شيء آخر سوى مجرد فرد أي كائن معزول عن الجماعة وضعت على هامش التاريخ من جراء القابلية للاستعمار".<sup>43</sup>

بالنسبة لبن نبي فان هذه الظاهرة عامة في العالم الثالث لقد اضطر المجتمع الجزائري الى الانطواء على نفسه بعمق بعد أن فرض عليه الرضوخ للاستعمار بقوة السلاح وأساليب النظم السياسية والاقتصادية والعسكرية التي لا ترحم وظروف اجتماعية قاهرة حرمت الفرد الجزائري من التعليم تحت قاعدة الجاهل يسهل تسييره واستغلاله وسلبت منه أرضه بعدة أشكال كقانون نزع الأراضي وتفتيت أرض العروش للاستيلاء عليها لكن كتب لهذا الشعب أن يحافظ على قدر من الطاقة ويربط حاضره بماضيه".<sup>44</sup>

لقد أوضح بن نبي حال الشعب الجزائري قبل الاستعمار قائلاً "كان الشعب الجزائري في بلاد سد فيه المستقبل امامه حيث كان الفرد يولد والتشاؤم بملأ أعماقه وروحه لأنه كان يفقد الدوافع الوجودية الباعثة التي تتيح للإنسان أن يكرس نفسه للحياة أو الموت من اجل شيء معين ففي المرحلة التي سبقت عهد الاستعمار اكتفى الإنسان بمجرد الحياة الخاملة واختلق له لكي يغالط نفسه بالنسبة الى وضعه البائس ضروبا من التعليقات الصوفية الكاذبة كان يقيمها مقام الدوافع المعللة".<sup>45</sup>

فالاستعمار الفرنسي قد ضرب على هذا الوتر بدعم الدروشة والخرافات وأستغل كل وسائل الدعاية في تجهيل الشعب الجزائري هذا معرفته بان العامل الموحد والشاحن لقيام الحضارة هو الدين الإسلامي وهذا ان دل فانه يدل على دراية الاستعمار الفرنسي بأدق التفاصيل للأمة الجزائرية وبكل ما يتعلق بنا وبماضينا وبخاصتنا ويزرع الوهن فينا لكي ننهزم داخليا ونتراجع والأمة التي لا تكون مشحونة الهمم مآلها الاندثار.<sup>46</sup> كما يذهب الى أبعد من هذا الطرح في وضعه قاعدة للتغيير هي ان كل ما يغير النفس في العمق يغير المجتمع في العمق وهو ما يقرره الدين الإسلامي في قوله تعالى "ان الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم"<sup>47</sup> , لهذا كان دائما يقول أن الحياة يحكمها منطق التغيير المستمر والإنسان اما أن يغير نفسه ووضعه واما أن يخضع للتغيير من غيره وليس أمامه خيار غير ذلك .

في ذلك يشير محمد الغزالي: "يحاول الهواء الاندفاع إلى الآنية المفرغة من أي ثغرة فستحاول التيارات الأجنبية الاندفاع إلى كل فراغ يخلفه خلو القلوب من العقيدة وخلو المجتمع من الدين"<sup>48</sup> فلم تعد للساسة والزعماء فلسفة راقية يقودون بها العالم إلا فلسفة المصالح المادية والمطامع الاستعمارية ومناطق النفوذ والاستيلاء على المواد الخام وأصبحت هذه المعاني هي محور التنافس بين الدول المنتصرة.<sup>49</sup>

إن ما يصيب المجتمعات من مخاطر ليس من قلة أشياءها وفقر إمكاناتها بل في الغالب من فقر أفكارها وعقم مناهج تفكيرها وهيمنة الجمود والتقليد عليها فالمشكلة في الدول المستعمرة مشكلة أفكار لان



الحضارة ليست بشراء منتجات غيرها بل هي التي تلد منتجاتها وان الاستعمار هو نكسة في تاريخ الإنسانية لأنه أينما حل يلوثها وان علينا التخلص من القابلية له في أنفسنا قبل تصفيته على الأرض وبقائه جاثما على أنفسنا رغم رحيله سبب تخلفنا لأن تحرر الفكر هو في صفاء النفس وليس العيب في أن نعمل ونخطأ بل العيب في عدم تعلمنا من أخطائنا.<sup>50</sup> لكننا لو حللنا الصورتين بالمجهر الدقيق لوجدنا الصورة الخاصة بالنهضة العربية زاخرة بالأشياء الغربية الحديثة و لا نجد معها سوى أشياء أخرى من مخلفات حضارتنا .<sup>51</sup>

يرى بن نبي لو أردنا أن نتخلص من الاستعمار الجاثم على قلوبنا علينا أن نتخلص أولا من القابلية للاستعمار فيقول " إن القضية عندنا منوطة أولا بتخلصنا مما يستغله الاستعمار في أنفسنا من استعداد لخدمته ، من حيث نشعر أولا ومادام له سلطة خفية على توجيه الطاقة الاجتماعية عندنا وتشثيتها على ايدينا فلا رجاء في استقلال و لا أمل في حرية مهما كانت الأوضاع السياسية وقد قال أحد المصلحين أخرجوا المستعمر من أنفسكم يخرج من أرضكم"<sup>52</sup>. على الرغم من أن الأستاذ بن نبي أكد على أن التخلص من الاستعمار يكمن في التخلص من سببه ويقر بذلك في قوله : "إنه لكي نتحرر من الاستعمار يجب أن نتحرر أولاً من سببه وهو القابلية للاستعمار ."<sup>53</sup>

في حين يشير أن الشعب الجزائري استطاع التلاحم وبكل حيويته في احدى المراحل من تاريخه وذلك في المؤتمر الاسلامي والذي أشار اليه باسم المؤتمر الشعبي الجزائري وأن الاستعمار لم يخرج لتحطيم حيوية الشعب الجزائري . فمن البديهي أن طرق الاستعمار شديدة التنوع في خلق التنوع في خلق فراغ اجتماعي مستخدما جميع الوسائل الاقتصادية والسياسية والثقافية والنفسية كما يضيف أن الاستعمار لا يطبق سياسة دون أن يقدر آثارها السلبية التي يمكن أن تنشأ عنها بالنسبة لمصلحته وهو في هذا المجال يتخذ الاحتياطات التي يملها الفن العسكري.<sup>54</sup>

يضيف أيضا أن على الشعب ادراك قضيته فالثورة لا تقوم الا ببناء وضع جديد والحفاظ على مكتسباتها بتصفية الاستعمار . والقضاء على قابلية الانسان للاستعمار<sup>55</sup> . ليست علاقة بين المستعمر و المستعمر كحال العلاقة في المعامل الاستعماري و الحق أن الظاهرة الاستعمارية لا توجد إلا بوجود شرطين متلازمين ، فمن ناحية وجود عوامل ضاغطة في صميم المجتمع الاستعماري دافعة إلى الاستعمار ، وهذا الشرط وحده لن يقود إلى ظاهرة استعمارية إذا لم يتوفر الشرط الثاني وهو الفراغ أو عوامل تحلل و تفكك.<sup>56</sup>

هذا ولم ينكر الأستاذ مالك بن نبي دور الاستعمار في صناعة التخلف في البلاد المستعمرة ، كما له دور إيجابي - حسب بن نبي- إذ يرى أنه يحرر الطاقات "يجب أن نعترف بأنه أيقظ الشعب" أما دوره السلبي فقد تجسد في تحطيم هذه الطاقات : "إنه قد خلع علينا بابنا وزعزع دارنا ، وسلب منا أشياء ثمينة ".<sup>57</sup> ويشير أيضا : " أن السياسة التي تتطور تبعا للأفكار مجردة تعانق بحكم الضرورة الضمير الشعبي ، ومن ناحية أخرى تلتزم المبادئ والمقاييس والقواعد التي تتحكم في سيرها فإنها بذلك تحمل في طبيعتها مبدأ التعديل الذاتي يفرض عليها رقابة من نفسها معدلا بذلك حركته.<sup>58</sup> " بذلك فإن الاستعمار يعمل على محاربة هذه الأفكار من خلال من خلال أسلوبه الترغيب والترهيب ويلخص بن نبي وسائل الحرب ضد الأفكار المجردة . فبدون شك تساهم في بناء الإنسان الجديد وفق تصور بن نبي حيث يقول " إن هدف الاستعمار لا يتعلق في الأساس بذات الشخص " ، فالإنسان هو ابن بيئته كما يقول أحد المفكرين و زاده في الحياة هو ما يكسبه من معارف و معطيات خاصة من المنظومة التعليمية فهي التي تحدد معالم شخصيته المستقبلية .<sup>59</sup>

#### خاتمة :

يعتبر مالك بن نبي من رواد النهضة الفكرية خلال القرن العشرين اشكاليات طرحه لأفكاره خلاصة الدراسات الأدبية لسيما التي تتجاوز الفكر التاريخي إلى الإطار التحليلي والفلسفي فقد تناول مالك بن نبي فكرة الاستعمار بالرجوع الى الجذور التاريخية من عصر النهضة وقيام الكشوفات الجغرافية التي كان غرضها الحصول على الثروات الطبيعية وأمام تزايد حاجة الدول للتوسع وإقامة الحضارات الإنسانية كانت الظاهرة وليدة الشجع الذي أصبح يهيمن على الدول التي نادى بقيام القوميات وتسعت الأمم الأوربية واتجهت أطماعها ناحية البلاد العربية والإسلامية لتكون بداية تحليل مالك بن نبي للأوضاع في أوربا والعالم الغربي ومقارنتها بأوضاع العالم الإسلامي وتركيبية المجتمعات وبناء الأفكار وخلاصة فكره آلت لطرحة لفكرة قابلية الاستعمار وفيها عالج القضية بطريقة رياضية جعل فيها متغير سماه بالمعامل إما الموجب أو السالب ووصفه بأنه المتحكم في نفسية وتفكير الشعوب المستعمرة كما حدد المفهوم التاريخي للاستعمار بالنكسة التي هددت الأمم وأن قبول ظاهرة الاستعمار هو ضعف وسمح لقب مستعمر وأهلي هو نوع من قابلية الاستعمار والرضوخ له فبن نبي يبحث على إخراج النفس البشرية من الإقرار بوجود الاستعمار فهذا يعد انتكاسة نوعية .

## الهوامش

<sup>1</sup> يقصد بها إحياء العلوم والآداب في أوربا (renaissance) بعد أن ظهرت الطبقة البرجوازية وخفت قبضة الكنيسة على العلماء وقد تركزت النهضة في إيطاليا قبل غيرها من الدول الأوروبية ثم انتشرت في باقي القارة البيضاء شملت عدة ميادين ظهرت نظريات ومناهج جديدة كالتنقد والبناء وإحياء الدراسات القديمة سياسيا ظهرت الدولة القومية وزاد الولاء للوطن والملك والعلوم المختلفة كالتاريخ والآثار الفنون الجميلة للمزيد انظر: عبد اللطيف الصباغ, تاريخ أوربا المعاصر, (د,م,ن) ص-ص, 5-9. مقالة منشورة على شبكة الانترنت على الموقع الإلكتروني: <http://bu.edu.org> التاريخ : 2018/04/05 الساعة: 14:45.

<sup>2</sup> شاعت خلال العصر الحديث في أوربا في القرن الثامن عشر للدلالة على التغير السريع واسع النطاق في العالم التجاري والزراعي والسياسي والصناعي وغيرها أطلق عليها التوسع الكبير خلال العصر الحديث في إنجلترا بام الثورة التجارية وهذه النقلة النوعية التي نقلت الجماهير من الحرف الموروثة إلى الأساليب الجديدة في عمل السفن والمعيشة وسرعة زيادة الانتاج مقارنة بما سبق للمزيد انظر: فاضل حسين, كاظم هاشم نعمة, التاريخ الأوربي الحديث 1815-1939, دار الكتب للطباعة والنشر, بغداد, 1982, ص,ص, 115, 116.

<sup>3</sup> جمع مفردة قومية لغة: عبارة عن صلة اجتماعية عاطفية تنشأ من الاشتراك في الوطن والجنس واللغة والمنافع وقد تنتهي بالتضامن والتضامن والتعاون الى الوحدة, اصطلاحا: اذا تأملنا تعريفات واصطلاحات دعاة القومية نجدهم يحددون مفاهيم مختلفة منها: وحدة الدم والعرق والجنس والعنصر, ومنهم من يرى أن القومية اللغة والشعور وليست علاقة النسب والميلاد في حين نجد آخرين يعرفونها على أساس أنها: التراب والأرض التي ولدوا فيها ونشأوا عليها. أو أنها وحدة التاريخ والتقاليد والعادات والمصير للمزيد انظر: إسماعيل محمد حنفي, القومية وأثرها في المجتمع الاسلامي, دراسات دعوية, العدد 5, يناير 2002, ص 128.

<sup>4</sup> عبد اللطيف الصباغ, مرجع سابق, ص,ص, 4, 5.

<sup>5</sup> كانت نتيجة حتمية لعصر النهضة العلمية الذي جاء بأفكار جديدة وروح جديدة للبحث والتنقيب ووضع الأشياء تحت التجربة للوصول إلى قوانين, وقد تقدمت علوم الفلك والعلوم البحرية حيث تم اختراع البوصلة مما كان له الأثر الأكبر في تشجيع البرجوازية الاوربية على المغامرة البحرية, وعندما ثبت نجاح هذه الاختراعات لجأت هذه الطبقة إلى تكوين أساطيل قوية تعمل في خدمة مصالحها وخاصة الاستعمار, ومن الآثار التي نتجت عما سبق هو اكتشاف كروية الارض الذي أدى اكتشاف أمريكا الشمالية والجنوبية وبعد ذلك أستراليا والقطبين. للمزيد انظر: عبد العزيز سليمان نوار, محمود محمد جمال الدين, التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى, دار الفكر العربي, القاهرة, 1999, ص, 58.

<sup>6</sup> نسيب سمير الحسيني, الغرب المتخيل رؤية الآخر في الوجدان السياسي العربي, تر, غازيرو, المجلس الأعلى للثقافة, الفارابي, 2005, ع, 767, القاهرة, ص, 52.

<sup>7</sup> عالم وفيلسوف ومفكر وسياسي أمريكي الجنسية ياباني المنشأ والأصل صاحب الكتاب الشهير نهاية التاريخ.

- <sup>8</sup> فرانسيس فوكوياما ، النظام السياسي والانحطاط السياسي من الثورة الصناعية إلى عولمة الديمقراطية ، تر، معين الامام ، مجاب الإمام ، منتدى العلاقات العربية والدولية الدوحة ، 2016 ، ج2، ط1 ، ص 34 .
- <sup>9</sup> عبد الحميد زوزو ، تاريخ الاستعمار والتحرر في افريقيا وآسيا ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2009 ، ص7 ،
- <sup>10</sup> أنور الجندي ، الطريق إلى الأصالة والخروج من التبعية ، دار الصحوة للنشر ، القاهرة ، 1985 ، صص، 119، 120
- أحمد عطية الله : القاموس السياسي ، دار النهضة العربية ، ط 4 ، 1980 ، ص 74 .
- <sup>11</sup> القرآن الكريم ، سورة هود الآية 61 .
- <sup>12</sup> أحمد عطية الله : المرجع السابق ، ص ص 74-75 .
- <sup>13</sup> أحمد سعيغان ، قاموس المصطلحات السياسية والدستورية والدولية ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، ط1 ، 2004 ، ص ، 385 .
- <sup>14</sup> محمد عوض ، الاستعمار و المذاهب الاستعمارية ، دار المعارف ، القاهرة ، 1957 ، ط3 ، ص ص 38 -42 .
- <sup>15</sup> الطاهر عمري ، الاستعمار الاستيطاني الأوربي وتأثيراته على البنى الاجتماعية الجزائرية إلى نهاية القرن التاسع عشر آليات الاستعمار الاستيطاني الأوربي في الجزائر وليبيا ، دار الهدى للطباعة والنشر ، الجزائر ، 2008 ، ص 140 . ندوة علمية الأولى في جامعة الامير عبد القادر للعلوم الإسلامية ، قسنطينة ، ماي 2008 كتاب إلكتروني متاح على الموقع الإلكتروني : <https://studentshistory13.com> التاريخ 2018/ 04/09 الساعة 01:05 سا .
- <sup>16</sup> أحمد سعيغان ، مرجع سابق ، ص 32 .
- <sup>17</sup> هو علم وفن تنظيم القوات العسكرية وتقنيات استخدام الأسلحة أو الوحدات العسكرية جمعاً في مواجهة أو اشتباك وهزيمة العدو في المعركة . تنعكس تغيرات ذلك في الفلسفة والتقنية على مر الزمان على التغيرات في التكتيكات العسكرية . التكتيكات هي أدنى مستويات التخطيط الثلاث ، وأعلى مستويات التخطيط هو مستوى الاستراتيجيات ، وهي تحويل القوات العسكرية إلى قوة سياسية وبشكل أكثر تحديداً أن تجمع كل الوسائل معاً من قوات وسياسة ونحوها للانتصار بالحرب . المستوى المتوسط هو مرحلة تحويل الاستراتيجيات إلى تكتيكات وهو المستوى العملي لتشكيل الوحدات وقوات للمزيد انظر : ياسر العلوي ، معجم المصطلحات السياسية ، معهد البحرين للتنمية السياسية ، البحرين ، 2014 ، ص 25 .
- <sup>18</sup> يعتبر الاستيطان الأوربي من اهم الاساليب التي استعملتها الادارة الفرنسية في بداية الاحتلال لفرض الهيمنة الأوربية الشاملة على الجزائر وسكانها وكانت حركة الاستيطان قد شهدت توسعا كبيرا خلال القرن التاسع عشر ويعتبر الجنرال كلوزيل من أكبر مشجعي الاحتلال الفرنسي للجزائر ، فقد كان يرغب في إنشاء مستعمرة كبيرة ، قوية بعناصرها الأوربية للمزيد انظر : عقيلة ضيف الله ، التنظيم السياسي والإداري للثورة 1954-1962 ، القافلة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2013 ، ص 26
- <sup>19</sup> محمد عوض : الاستعمار والمذاهب الاستعمارية ، ط3 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1957 ، ص 36 .
- <sup>20</sup> أحمد عطية الله : مرجع سابق ، ص 74 .

- <sup>21</sup> عبدالوهاب الكيالي : الموسوعة السياسية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ج1، بيروت، 1989، ص172.
- <sup>22</sup> يحيى بوعزيز ، تاريخ افريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن ، دار البصائر ، الجزائر ، 2009، ص29،
- <sup>23</sup> ساعو حورية العلاقات الفرنسية الجزائرية دراسة مقارنة بين فترة حكم جاك شيراك ونيكولا ساركوزي اطروحة لنيل شهادة الدكتوراه جامعة الشلف الجزائر ص، 17، 2017،
- <sup>24</sup> جلال يحيى ، المغرب الكبير الفترة المعاصرة وحركات التحرر والإستقلال ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1966، ص، 1048.
- <sup>25</sup> إدريس مغراوي وآخرون ، ما بعد الاستعمار والقومية في المغرب العربي والتاريخ والثقافة والسياسة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، تر، جمعة عمر بوكليب بيروت ، ط1، 2014، ص246.
- <sup>26</sup> ولد مالك بن عمر بن لخضر بن مصطفى بن نبي في الفاتح من شهر جانفي 1905 في مدينة قسنطينة إحدى مدن الشرق الجزائري، أحد رواد النهضة الفكرية الإسلامية في القرن العشرين ، ولد خلال فترة الاحتلال الفرنسي أكمل دراسته في فرنسا وعاش فيها لفترة ثم عاد إلى الجزائر وقضى فترة من حياته في القاهرة عمل في التعليم والسياسة ثم تحول كليا للعمل الفكري له عدة مؤلفات منها شروط النهضة ، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي للمزيد انظر : موسى لحرش، إستراتيجية استئناف البناء الحضاري للعالم الإسلامي في فكر مالك بن نبي، د م ج ، المطبعة الجهوية قسنطينة ، الجزائر ، 2006، ص12. وأيضا: الموقع الالكتروني: <http://inkitab.me> : التاريخ: 05/04/2018 الساعة 23:00 .
- <sup>27</sup> ولد مالك بن عمر بن لخضر بن مصطفى بن نبي في الفاتح من شهر جانفي 1905 في مدينة قسنطينة إحدى مدن الشرق الجزائري، أحد رواد النهضة الفكرية الإسلامية في القرن العشرين ، ولد خلال فترة الاحتلال الفرنسي أكمل دراسته في فرنسا وعاش فيها لفترة ثم عاد إلى الجزائر وقضى فترة من حياته في القاهرة عمل في التعليم والسياسة ثم تحول كليا للعمل الفكري له عدة مؤلفات منها شروط النهضة ، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي للمزيد انظر : موسى لحرش، إستراتيجية استئناف البناء الحضاري للعالم الإسلامي في فكر مالك بن نبي، د م ج ، المطبعة الجهوية قسنطينة ، الجزائر ، 2006، ص12. وأيضا: الموقع الالكتروني: <http://inkitab.me> : التاريخ: 05/04/2018 الساعة 23:00 .
- <sup>28</sup> حسن موسى محمد العقي ، مالك بن نبي ومواقفه من القضايا حياتها الفكرية المعاصرة ، رسالة لنيل شهادة الماجستير ، جامعة غزة. القدس، 2005، ص 176.
- <sup>29</sup> انعقد هذا المؤتمر الأوروبي العالمي في نوفمبر 1884 ، ليقرر مستقبل الكونغو وتنسيق النشاط الاوربي في افريقيا وكان هدف ألمانيا وفرنسا هو تحجيم نشاط بريطانيا في الكونغو النيجر وهما المدخلان لقلب افريقيا انقض المؤتمر في 02/20 1885/ . للمزيد انظر: محمد علي القوزي ، في تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر ، دار النهضة الحديثة، بيروت ط 1، 2006، ص، 116، 155 .

<sup>30</sup> كماي ذكر بن نبي في كتابه نموذجاً عن رد فعل الشعب عن السياسة الاستعمارية وفكرة باندونغ الذي يوضح أنه قد أستمد من مبدأ فكري مشترك من نزعة معادية للاستعمار لدى الفئة الأفروآسيوية , ومن الواضح أن هذا المبدأ هو الذي ألهم الشعوب المستعمرة بتحريرها.

\*\*  
ينما يتمثل هدف الاستعمار الاستغلالي في اقتطاع فائض القيمة عبر دمج قوة عمل السكان الأصليين الرخيصة بالموارد التي تتوفر عليها المستعمرة، فإن هدف الاستعمار الاستيطاني هو الحصول على الأرض، والتي سيتم عليها تدشين تشكيلة رأسمالية جديدة لا مكان فيها للسكان الأصليين. وقد عبر وولف عن ذلك بالقول إن الاستعمار الاستيطاني يقوم على منطقتي الإزالة»- أي إزالة السكان الأصليين». للمزيد انظر : وليد حباس مفهوم الاستعمار الاستيطاني نحو اطار نظري جديد، قضايا اسرائيلية، عدد 66، ص 115 . (د.م.ن)، (د.س.ن)، (د.ت) (مقالة الكترونية متاحة على الموقع : <https://www.madarcenter.org> التاريخ: 2018/04/09 الساعة 11:18 سا.

<sup>31</sup> ينما يتمثل هدف الاستعمار الاستغلالي في اقتطاع فائض القيمة عبر دمج قوة عمل السكان الأصليين الرخيصة بالموارد التي تتوفر عليها المستعمرة، فإن هدف الاستعمار الاستيطاني هو الحصول على الأرض، والتي سيتم عليها تدشين تشكيلة رأسمالية جديدة لا مكان فيها للسكان الأصليين. وقد عبر وولف عن ذلك بالقول إن الاستعمار الاستيطاني يقوم على منطقتي الإزالة»- أي إزالة السكان الأصليين». للمزيد انظر : وليد حباس مفهوم الاستعمار الاستيطاني نحو اطار نظري جديد، قضايا اسرائيلية، عدد 66، ص 115 . (د.م.ن)، (د.س.ن)، (د.ت) (مقالة الكترونية متاحة على الموقع : <https://www.madarcenter.org> التاريخ: 2018/04/09 الساعة 11:18 سا.

<sup>32</sup> مالك بن نبي :شروط النهضة ، مصدر سابق ، ص 150.

<sup>33</sup> والفكرة الاستعمارية ضلت مطروحة ومصاغة من طرف المجتمع الأوروبي ولم تراجع الا مع شيوع بوادر الثورة الفرنسية وإيديولوجيتها وشعارها لكن كانت تلك الشعارات لا تنظر الى انسانية الانسان بل لقوميته وان دون الأوروبي قابل بأن يستعمر الإستعمارية لم تراعي الجانب الانساني وتحتم عليها صياغة قواعد منظمة للمجتمع الدولي وفق مفاهيم تتلاءم والمبادئ الاستعمارية انظر : نفسه ، ص 152.

<sup>34</sup> روائي ومسرحي وكاتب من أشد المهتمين ب اللغات والثقافات الافريقية كخطوة للتحرر من الاستعمار الثقافي في القارة بعد رحيل المستعمر السياسي عن القارة . للمزيد انظر : (بدون توقيع )، حكاية نغوجيو اثيونغو. مقالة الكترونية متاحة على الموقع : [www.alyoumaltali.com](http://www.alyoumaltali.com) التاريخ: 2018/04/09 الساعة 12:03 .

<sup>35</sup> نغوجيو اثيونغو، تصفية استعمار العقل تر، سعدي يوسف ، دار التكوين ، دمشق، 2011 ، ص 19.

<sup>36</sup> كما ذكر بن نبي في كتابه نموذجاً عن رد فعل الشعب عن السياسة الاستعمارية وفكرة باندونغ الذي يوضح أنه قد أستمد من مبدأ فكري مشترك من نزعة معادية للاستعمار لدى الفئة الأفروآسيوية , ومن الواضح أن هذا المبدأ هو الذي ألهم الشعوب المستعمرة بتحريرها.

<sup>37</sup> وهذه الظاهرة الاستعمارية متجذرة منذ القدم في فكر المستعمر وان عمق الفكرة وفعاليتها لها ما شارب ومنظرين حيث كتب رؤو لجيراردي في كتابه الفكرة الاستعمارية بفرنسا مثلاً انه من خلال السنوات الأولى من الجمهورية الثالثة لم

- يشكل موضوع صياغة عقيدة الامبريالية الاستعمارية حكرا لأي مجموعة أو عائلة سياسية بل نجد دعواتها لدى رجال التقليد والمخلصين للمشروعية وذوي القناعات .
- <sup>38</sup> مالك بن نبي، شروط النهضة، مصدر سابق، ص، ص، 152، 153 .
- <sup>39</sup> تجدر الإشارة إلى أن الأستاذ مالك بن نبي يرى أن للاستعمار عدة أشكال فقد يكون الشعب المغزو معرضا إما إلى احتلال مؤقت أو إلى عملية ضم نهائية فأما الاحتلال المؤقت فإن تأثيراته على الحياة تكتسي صفة عابرة في حدود ينتهي نفوذه مع تصفية الوضع الحربي أما عملية الضم فتأثيرها على الحياة يكون حتى النهاية مما يؤدي إلى ميلاد مجتمع جديد ، ويرى أنه لا يوجد شرط حتى تكون خصائص الغالب هي السائدة فقد تكون حياته مطبوعة بخصائص المغلوب وقد يكون تأثيراً متبادلاً ، وهي تكون نتيجة الاستعمار هو الاستعمار ذاته كشكل ثالث وهو نوعان : استعمار استبدادي يظهر في حياة الإنسان و المجتمع في صورة محسة وأعمال يتدخل المستعمر في جميع تفاصيل الحياة . واستعمار متحفظ وهو مرّن على الشكل الأول لا يتدخل المستعمر تدخلاً مباشراً في حياة المستعمر ، فهو يطلق أنواعاً من الحريات . أنظر: الطاهر مسعود، الظاهرة الاستعمارية من منظور مالك بن نبي ، مجلة الآداب و العلوم الإنسانية ، ع6 ، المطبعة العربية غرداية ، الجزائر ، 2005.. وكذا مالك بن نبي ، وجهة العالم الإسلامي ، مصدر سابق ، ص 96 .
- <sup>40</sup> مالك بن نبي: القضايا الكبرى ، ص 32.
- <sup>41</sup> مالك بن نبي : ميلاد مجتمع ، ص - ص ، 152-156 .
- <sup>42</sup> محمد شاوش : المرجع السابق ، ص ، ص 14-15 .
- <sup>43</sup> مالك بن نبي : القضايا الكبرى ، مصدر سابق ، ص، ص ، 31- 32.
- <sup>44</sup> مالك بن نبي ، نفسه ، ص، 33 .
- <sup>45</sup> مالك بن نبي : بين الرشاد والتهيه، مصدر سابق، ص 14 .
- <sup>46</sup> هذا ما عبر عنه بالقابلية للاستعمار حيث أعطى حلولاً لهذه الظاهرة حين قال لابدان نتخلص منا لانتهزام النفسي الذي بداخلنا وهذا من خلال الرجوع الى جادة الصواب و التمسك بتعاليم الدين الإسلامي وان نجعله قدوتنا وبدون الرجوع اليه لا أمل في الخلاص وضرب مثالا بصانعي الحضارة الإسلامية و خاصة الرعييل الأول الذين انطلقوا من العدم وصنعوا أمجاد افقت أمجاد روما وفارس ويقول بن نبي " أتم قياس نجاح أو فشل أي حركة تغييرية هو بقدر ما تحافظ على محتواها الفكري والروحي والثقافي والحضاري أو تضعه في الطريق .
- <sup>47</sup> القرآن الكريم ، سورة هود الآية 61 .
- <sup>48</sup> محمد الغزالي ، الاستعمار أحقاد وأطماع ، نخضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2004 ، ط4 ، ص ، 250
- <sup>49</sup> نفسه ، ص، 251 .
- <sup>50</sup> مالك بن نبي : تأملات ، ص 187 .
- <sup>51</sup> الحضارة لا تصنع بالاندفاع في دروب سبق السير فيها بل بفتح دروب جديدة تعطي للأمة مكانة ووزنا في العالم و التاريخ و منتج غيرنا لا يصنع حضارتنا و الرجوع إلى الوسائل البدائية في إنتاجنا أفضل من اللهث ورائه في أسواق

غيرنا و ان طريق الأمة المرشدة يستلزم تعليم الأجيال الإسلامية كيف تستطيع ان تكتشف طرقا تنصدر بها موكب الإنسانية و الابتعاد بها عن طريق مواكبة او اتباع الآخرين وهو في فكر بن نبي انتكاسة للذات المغلوبة على الذات الغالبة ، حتى يشعر الفرد بأن كل ما يفعله المستعمر ويقولوه هو عين الصواب حتى ولو وصفه المستعمر بأي شيء فيعتبر في عرف المستعمر صحيحاً يدافع عنه .

<sup>52</sup> مالك بن نبي :وجهة العالم الإسلامي ، ص 95.وكذا القضايا الكبرى ، ص 31.

<sup>53</sup> مالك بن نبي ،ميلاد مجتمع ،مصدر سابق،ص،83 .

<sup>54</sup> مالك بن نبي . مالك بن نبي بين الرشاد والتيه ،مصدر سابق ، ص52 .

<sup>55</sup> إن القول بنظرية القابلية للاستعمار لا تعني تبرير الاستعمار من جهة ولا تبرئة المجتمعات الاستعمارية من جهة أخرى ولا التماس العذر لها أيضاً إنما لها فراغ نفسي ، وتحلل فكري ، وتفكك اجتماعي ، سهل مهمة المستعمر . إذ أن وضع علاقة الإنسان المستعمر – الإنسان القابل للاستعمار- هو إنسان ما بعد الموحدين هي " أي علاقة الفرد باعتباره مستعمرًا ،بذاته باعتباره(قابلاً للاستعمار)" للمزيد انظر :مالك بن نبي : نفسه ،ص 96.

<sup>56</sup> زهرة عطا محمد: السيطرة الأجنبية و التغيير الاجتماعي-دراسة الوطن العربي- الاستعمار والفراغ ،منشورات جامعة قاروننس، ليبيا، 1991، ص321.

<sup>57</sup> مالك بن نبي : شروط النهضة ، ص ص153-154.وكذا :وجهة العالم الإسلامي ، ص94.

<sup>58</sup> مالك بن نبي : الصراع الفكري في البلاد المستعمرة ،ط1، دار الفكر، سوريا ، 1960، ص ص 24-25.

<sup>59</sup> يشير بن نبي أن الاستعمار يجب أن يفهم على انه ضرورة تاريخية كما يجب أن نحدث تفرقة بين بلد مستعمر وبلد محتل ففي الحالة الأولى يوجد تركيب سابق للإنسان والوقت وهو يتتبع فرد قابل للاستعمار أما في الحالة الاخرى فإن جميع الظروف الأخرى التي تحوط الفرد تدل على قابلية الاستعمار وفي هذه الحالة يصبح الاحتلال الاجنبي قدرا محتوما أن الاستعمار ظلوا لسنين يحاربون للمزيد انظر : نفسه ،ص،ص22، 23. وأيضاً: محمد البنعياي ، مالك بن نبي في ذاكرة عبد السلام هراس ، كتاب المجلة العربية ،الرياض ع 395 ديسمبر 2009 ،ص،18